هل يُشرع قول

مَاشَاءَ اللَّهُ

عند رؤية نعمة غيرك أم ذلك خلاف السنة؟

كتبه عايد بن محمد التميمي

هل يُشرع قول: "ما شاء الله"
عند رؤية نعمة غيرك أم ذلك خلاف السنة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

استمعتُ إلى مقطع لأحد المشايخ انتقَد فيه قول: "ما شاء الله" عند رؤية نعمةٍ للغير، وقال: إن ذلك خلافُ سُنة النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر أنه إذا كانت النعمة لك، فقُل: ما شاء الله، وإذا كانت لغيرك فقل: اللهم بارِك له، ولا تقُل: ما شاء الله، وقال: إنه على ذلك نصَّ ابن القيم وأبابطين، وجماعة من أهل العلم، واستدل بآية سورة الكهف: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: 39]، وعلَّل ذلك بأن صاحب النعمة لن يَستفيد شيئًا من قولك: "ما شاء الله"، ثم احتجَّ بحديث سهل (ذكَره بمعناه، وفيه الأمرُ بالدعاء بالبركة)، وذكر أن هذا الحديث في الصحيح؛ انتهى كلام المنتقِد، وفَّقه الله[1].

وسأُناقش ما ذكره المنتقد وفَّقه الله في هذا المقطع باختصار:

ما نقله عن ابن القيم لم أجد له مصدرًا[2]، بل ظاهرُ كلام ابن القيم في كُتبه التي بين أيدينا أن قول: (ما شاء الله) عام فيما يُعجبك من النعم؛ سواء كانت لك أو لغيرك، وأن قولها مما

---

1 وسأشير إليه في المناقشة بالمنتقد.

2 وقد بحثت أيضًا في مظان ذلك في الفهارس العلمية لآثار الإمام ابن قيم الجوزية، فلم أجد شيئًا، وانظر مثلًا فيها: 487/1 (وتضاف إلى ما ذكر هنا مواضع أخرى كالتي ستأتي الإحالة عليها في زاد المعاد والوابل الصيب)، وأما الشيخ أبابطين (ت١٢٨٢) فلم أجد إلا قوله: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلِّم أصحابه تجريد التوحيد؛ بأن يقولوا: ما شاء الله وحده (عبدالله أبابطين، الرد على البردة، ص٤٢٧)، ومن وجد مصدرًا فيه إنكار ابن القيم ذلك أو إنكار أحد غيره – من غير المعاصرين – فليُفد بذلك.

تُدفَع به إصابةُ غيرك بالعين[3]، وكذا هو ظاهرُ كلام شيخه شيخِ الإسلام ابن تيمية في كتاب الكلم الطيب، ص١٧٧، ١٧٨[4]، وفي كتاب أقسام القرآن ص٩٠[5]، وكذا ظاهر قول قرينه ابنِ مفلح في الآداب الشرعية، ٣/٧١.

وممن يصرّح باستحباب قول: "ما شاء الله" على نعمة الغير جماعةٌ من الفقهاء، خاصة من الشافعية، صرَّح به النووي (ت٦٧٦) في روضة الطالبين، ٩/٣٤٨، ومن تبِعه كالدميري والخطيب، وشرف الدين ابن المقري (ت٨٣٧) في روض الطالب، وأقرَّه زكريا الأنصاري في شرحه، والرملي الكبير في حاشيته، ٤/٨٣، وابن علان المكي (ت١٠٥٧) في شرح الأذكار، ٦/٢٧٠، ونقَله عن السيوطي، وهو ظاهرُ كلام الحافظ ابن حجر في الفتح، ١٠/٢٠٥، وابن رسلان في شرح أبي داود، ١٥/٦٠٠، والزرقاني المالكي في شرح الموطأ، ٤/٤٩٩.

بل لوضوح هذه المسألة قلَّ أن يُحتاج فيها إلى التنبيه على شمول قول: (ما شاء الله) للنفس والغير، وكأنه لم يَرِد على ذهن العلماء أصلًا أن هناك مَن سيَخُصُّ قولَها في النفس،

---

3 انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ٤/٢٤٣- عالم الفوائد؛ ابن القيم، الوابل الصيب، ص٣٧١، وأثر عروة بن الزبير الذي ذكره ابن القيم في زاد المعاد فيه شيءٌ من الاختلاف في لفظه عما هو في سنن سعيد بن منصور، ١٣٤١ وغيره، فلفظ سعيد بن منصور وغيره ليس فيه شاهدنا، (وانظر: أبو عبيد، كتاب الشواهد، الجزء الثاني، ص١٢٦)، ولكن المقصود هنا اللفظ اللي ذكره ابن القيم خاصة، والاستشهاد به للمعنى المقصود، لا تحرير لفظ أثر عروة بن الزبير رحمه الله، والله أعلم.

4 وكذا ظاهر كلام بدر الدين العيني (ت٨٥٥) في شرحه كتاب الكلم الطيب، ص٥٨٢.

5 ونصه فيه (وهو أيضًا في مجموع الفتاوى، ١٣/٣٢١): " ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: 39]، ولهذا يؤمَر بهذا من يخاف العين على شيء".

ويَمنَع قولَها للغير، فلذلك لم يُصرِّحوا بعموم استعمالها؛ لأنه الأصل والجادة، ولو احتاج شيءٌ إلى تنبيه، لكان متوجهًا إلى ما هو خلاف الأصل، وهو التنبيه على التخصيص والتفريق، لا نفيُه، والله أعلم، ولم أجد أحدًا صرَّح بالفرق بين استعمال المشيئة والتبريك؛ من حيث توجُّههما إلى النفس أو الغير، سوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، فقد فرَّق بين استعمالهما في فتاوى نور على الدرب [٢/٢٤ نسخة إلكترونية]، ولقاء الباب المفتوح [١٩/٢٣٥ نسخة إلكترونية]، لكنه لم يُخطِّئ عدمَ التفريق، ولم يقرِّر كونَه خلافه السنة، ثم إن الشيخ نفسه رحمه الله في مواضعَ أخرى – (كما في فتاوى نور على الدرب نفسها[٢/٤]) – يذكر قول: "ما شاء الله" للغير، وتجد الشيخ أحيانًا في شروحه الصوتية – كشرح الزاد – إذا أحسَن الطالب الجواب يكرِّر قول: ما شاء الله، ما شاء الله؛ أي: على الطالب، لا على نفسه.

وأما الاستدلال بآية سورة الكهف، فليس في آيات سورة الكهف دليلٌ على التخصيص[6]، وإنما فيها حكاية حال فحسبُ، نصح رجلٌ رجلًا أن يقول: "ما شاء الله" على النعمة التي هي في هذه الحكاية نعمةٌ له، وليس في ذلك مفهومُ تخصيصٍ، ولا معنى معتبرٌ

6 أي تخصيص قولها على نعمة نفسك لا على نعمة غيرك؛ كما ذكر المنتقد.

للتخصيص هنا، ولو قلنا بتخصيص قول: "ما شاء الله"[7] بمجرد ذلك، لَخَصَصْنا التبريكَ أيضًا في مشروعية قوله للغير فقط، ولقُلنا بعدم مشروعية تبريك الرجل على ما لديه هو مِن نعم[8].

وكثيرٌ من المفسرين وغيرهم يذكُرون عند آية الكهف هذه قولَ: "ما شاء الله"، إذا رأى شيئًا أعجَبه أو لتوقِّي الإصابة بالعين، كذا يُطلقون ذلك، أو ينقلون ذلك الإطلاق عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن عروة بن الزبير أو غيره، دون تعليقٍ، ولا يَخصون قولَها في نعمة المرء نفسه فحسبُ؛ كالجصاص، ٣٧٩/٥، والثعلبي والكيا الهراسي، وبرهان الدين الكرماني، والمعيني والرازي في أسرار التنزيل، والقرطبي والبيضاوي، والبقاعي في المصاعد، والإيجي، والسيوطي في الإكليل، وأبي السعود والآلوسي.

---

7 وهذا هو مفهوم كلام المنتقد ومقتضاه، وإن كان إنكاره العكس (قول: "ما شاء الله" على الغير) أظهر.

8 والعكس (التبريك على النفس)، قد جاء فيه حديث عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه: "إذا رأى أحدكم **من نفسه** أو ماله أو أخيه شيئًا يُعجبه، فليَدعُ بالبركة؛ فإن العين حق"، وفيه فائدتان: التبريك على النفس، وإعانة المرء نفسه (=إصابة نفسه بالعين)، والحديث رواه أحمد في مسنده، (وهو عنده من مسند عبدالله بن عامر لا أبيه)، والنسائي في الكبرى؛ رواه النسائي في ثلاثة مواضع، ولم يُعله، (ومثل هذا يعده غير واحد من العلماء تقوية للحديث)، وصححه الألباني في صحيح الكلم، ٢٤٤، ولكن قال ابن حجر في إطراف المسنِد، ٥٤٥/٢: "هو بمسند سهل أشبه، وفيه زيادة ومخالفة للأحاديث السابقة".

تنبيه: عزا النووي في الأذكار (وتبعه بعضهم) هذا الحديث بهذا اللفظ إلى ابن السني من حديث سهل بن حنيف، وفيه نظر؛ فلفظ ابن السني عن سهل مختلف، وليس فيه شاهدنا؛ (أي: رجوع الإعجاب إلى نفسه وماله، لا إلى نفس أخيه وماله).

وبوَّب البيهقي في كتابه الدعوات الكبير، ١٩٩/٢ (باب ما يقول إذا رأى ما يُعجبه؛ قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: 39]، ومثله تبويب ابن تيمية في كتاب الكلم الطيب / فصل ٦٠، ولم أر أحدًا صرَّح بخلاف ذلك.

وأما حديث سهل بن حنيف الذي ذكره المنتقِد، فليس فيه تخصيصٌ كما سبق، وسأُورد أيضًا بعد قليل بعضَ ألفاظه التي فيها ذكرُ "التبرك" على نعمة المرء نفسه، وعَزوُ المنتقد إياه إلى الصحيح غيرُ صحيحٍ؛ لأن الاصطلاح العام[9] أن إطلاق عزو الحديث إلى الصحيح (نحو قول: وفي الصحيح)، لا ينصرف إلا إلى الصحيحين أو أحدهما، والحديث ليس في الصحيحين أو أحدهما.

وقد جاء في الحديث: "مَن رأى شيئًا فأَعجَبه، فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم يَضُرَّه"، وهذا لفظ يَعُمُّ، ولكن الحديث لا يَصِح[10]، وقد رُوي الحديث بلفظ: "مَن رأى شيئًا يُعجبه أو لغيره..."[11]، وفي صحيح البخاري وغيره في حديث أبي رجاء عن سَمُرة بن جندب:

---

9 كما يعبر الألباني في السلسلة الضعيفة، ٣٠٣/١/١٤.

10 رواه أبوبكر البزار في مسنده، (وليس في المطبوع منه، بل في كشف الأستار، ٤٠٤/٣) وأبو بكر ابن السني في عمل اليوم والليلة، ٢٠٧، وابن عدي في الكامل، ٣٦٩/٥، وفيه حجاج بن نصير، وهو ضعيف، وأبو بكر الهذلي، وهو أشد ضعفًا؛ فقد ضعفه الأكثر تضعيفًا شديدًا، بل كذبه بعضهم كغندر، وقد ضعف الحديث ابن حجر بهذين الراويين في مختصر زوائد مسند البزار، ٦٤٤/١، وكذا البوصيري في الإتحاف، ٤٦٠/٤، وغيرهما.

11 رواه أبوبكر البزاز، الثاني من حديث أبي بكر محمد بن العباس البزاز، ٥٤. وفيه أيضًا أبوبكر الهذلي، لكن من دونه في الإسناد حفاظ ثقات، فهذا اللفظ إسناده أقل ضعفًا من سابقه، وإن كان

"كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاةً، أقبَل علينا بوجهه، فقال: مَن رأى منكم الليلةَ رؤيا؟ قال: فإن رأى أحدٌ قصَّها، فيقول: ما شاء الله، فسألنا يومًا ..."[12]، ففي هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حكاية رؤيا غيره: ما شاء الله، والأصل أن مَن سألهم عن رؤياهم من الصحابة رضي الله عنهم، لن يُحدثوا إلا بالرؤيا الحسنة، فإنه صلى

المتن السابق أشهر، ورواه وذكره الأكثر، لكن يبقى الحديث على كل حال شديد الضعف، والله أعلم.

12 رواه البخاري، ١٣٨٦ من طريق موسى بن إسماعيل عن جرير بن حازم عن أبي رجاء به؛ بهذا اللفظ: (وليس في الشروح أو في طبعة بيت السنة لصحيح البخاري، 684/1، أو في نسخة إسماعيل البقاعي لصحيح البخاري، ص112 – ذكرٌ لاختلاف النسخ هنا، سوى ما ذكره العيني في عمدة القاري، 173/24– عند الموضع التالي من صحيح البخاري7047 – أنه عند النسفي: من شاء، وعند غيره: ما شاء، والظاهر أنه وهم في نقله عن ابن حجر، أو غيره، وأن الذي اختلفت فيه رواية النسفي عن غيره: هي الكلمة التي قبلها؛ انظر: فتح الباري، 440/12)، وهو اللفظ الذي اقتصر عليه المهلب في مختصره البخاري، ٤٧/٢ بعد ذكره طريقي البخاري كليهما، لكن الحديث رواه البخاري٧٠٤٧ وغيره من طريق عوف عن أبي رجاء بلفظ: "فيقص عليه من شاء الله أن يقص"، ورواه أحمد، ٢٠١٦٥ وغيره من طريق يزيد بن هارون وغيره عن جرير بن حازم بلفظ: "فيقول فيها ما شاء الله أن يقول"، ولم أجد في ما راجعته من شروح البخاري وغيرها تنبيهًا على هذا الفرق المعنوي عينِه، وقد تُحمل رواية البخاري الأولى (التي من طريق موسى بن إسماعيل) على اللفظ الآخر؛ فيكون معناها: فيقول ما شاء الله أن يقول، والله أعلم، ثم وجدت عبدالله بن سالم البصري (ت1134) في ضياء الساري، 106/12 يشرح هذا الموضع (أي رواية موسى بن إسماعيل) بذلك؛ فقد قال فيه: "(فيقول) في تأويلها (ما شاء الله) أن يقول".

الله عليه وسلم قد قال لهم في رؤيا المنام السيئة: "فمَن رأى شيئًا يَكرَهه، فلا يَقُصَّه على أحدٍ"[13]، والله أعلم[14].

وقد جاء ذكر "ما شاء الله" على نعمة الغير عن غير واحدٍ من السلف، بل عن بعضهم تَكرارُها؛ (أي تَكرارُ قول: "ما شاء الله" في حق نعمة للغير)؛ جاء تَكرارُها عن ابن سيرين[15]، ومسلم بن يسار[16]، وأحمد بن حنبل[17]، وقال حفص بن ميسرة: "رأيت على باب وهب بن منبه مكتوبًا: ما شاء الله لا قوة إلا بالله"[18]، والظاهر أن ذلك كان من وهب تذكيرًا للداخلين أن يقولوها كلما دخلُوا، والله أعلم، ورُوي عن جعفر الصادق: "عجِبتُ لمن رغِب في شيء

13 رواه الشيخان من حديث أبي قتادة ومن حديث أبي هريرة، (واللفظ له في رواية البخاري، ٧٠١٧)، ورواه البخاري من حديث أبي سعيد.

14 ولم أر من استدل بهذا الاستدلال لهذه المسألة، والاستدلال بما لم يستدل به السلف، ليس من مسألة إحداث قول ثالث (الذي حُكي الاتفاق على منعه)، بل الاستدلال بدليل لم نر من سبقنا إليه قد أجازه الجمهور، (نسبه إلى الجمهور جماعة، كابن الهمام الحنفي في التحرير، وابن الحاجب المالكي في مختصره، والعراقي الشافعي في الغيث الهامع، والمرداوي الحنبلي في التحرير – مع التحبير، ١٦٤٨/٤–)؛ لأنه قد يكون على الحكم أدلة متعددة، لكنهم اكتفوا ببعضها.

15 رواه ابن سعد في طبقاته، ١١٦١٢، بإسناد صحيح.

16 رواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، ١٤٠٤.

17 رواه ابن عساكر في تاريخه وابن الجوزي في مناقب أحمد، وعبدالغني في المحنة، ص١٣٠، وفي الحكاية تكرارها أربع مرات، وأمر أحمد الرجلَ أن يعيد كلامه، وذلك إعجابًا بحسنه.

18 رواه ابن ابي حاتم في تفسيره (كما في الدر المنثور)، وابن يونس في كتاب المصريين (رواه من طريقه ابن طاهر في الأنساب، ص٨٩)، ونقل ابن فرحون في الديباج، ٩٤/١ مثله عن الإمام مالك.

كيف لا يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، والله يقول: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: 39]"[19].

ويذكر غيرُ واحدٍ من السلف أصلَ فضل قول: "ما شاء الله" مطلقًا[20]، جاء عن عمرو بن مرة أنه قال: "إن من أفضل الدعاء قول الرجل: ما شاء الله"، وعن إبراهيم بن أدهم: "ما سأل رجل مسألة ألحَّ [وفي نسخة: أنْجَح] من أن يقول: ما شاء الله"[21]، وعن بعضهم أن ما شاء الله لا قوة إلا بالله تَزيد الخير[22]، وتعدَّدت النقول عن مالك بن أنس في حرصه على التزام "ما شاء الله"، وفي بعض تلك النقول: التصريح بإكثاره من قول: "ما شاء الله"[23]، وقد عقد ابن المبرد في كتابه أدب المرتَعى فصلًا صدَّره بقوله: "وربما تكون إجابة الدعاء متوقفة على بعض الدعاء، أو على كلام وذكر؛ مثل: ما شاء الله"، ثم ذكر آثارًا في ذكر "ما شاء

19 رواه أبو المظفر السمعاني (عبدالرحيم) في حديثه، انتقاء الضياء المقدسي، ١٣١٧/أ، وابن بشكوال في كتاب المستغيثين، ٣٧، من طريقين، ولا يصح عنه، ويرويه بعض الرافضة الإمامية في كتبهم بألفاظ عدة؛ (انظر مثلًا: ابن بابويه القمي، الخصال، ص٢١٨)، ورواه ابن بشكوال في الفوائد المنتخبة، ٢١٧/١ من طريق ثالث، لكن عن جعفر عن أبيه (محمد الباقر).

20 وكذا "لا قوة إلا بالله" جاء ذكر فضائلها في أحاديثَ وآثارٍ عدة.

21 رواهما ابن أبي حاتم في تفسيره؛ (كما في الدر المنثور، ٥٤٣/٩).

22 أشار إليه أبو سنان؛ كما في الحلية لأبي نعيم، ٩٥/٥.

23 رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى وابن غنائم في فوائده من طريقين، وكذا جاء ذكر إكثار مالك في حكاية أخرى عند البسوي في المعرفة، ٣٢/٣، وانظر: طبقات ابن سعد، ٥٧٢/٧؛ ترتيب المدارك، ١٩٢/١.

الله"؛ ص١٦٧-١٦٩، وقد رُوي في الحديث: "أكثِروا من غراس الجنة ... قالوا: يا رسول الله، وما غِراسُها؟ قال: ما شاء الله، لاحول ولا قوة إلا بالله"[24]، وهو لا يَصِح.

ولا يرد هنا إشكالُ عدم صحة الأحاديث المرفوعة في قول: "ما شاء الله" للغير؛ فإنه كذلك لم يَصِح حديث صريح في قول: "ما شاء الله" على نعم المرء نفسه[25]، وأشهرها حديث أنس: "ما أنعم الله على عبده نعمةً في أهل أو مالٍ أو ولدٍ، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفةً دون الموت"[26]، وهو لا يَصِح، ويظهر أن عِزَّةَ أحاديث قول: "ما شاء

---

24 الحديث ذكره المنذري في الترغيب، ٤٤٥/٢، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في الذكر والطبراني من حديث ابن عمر، (وتبعه السفاريني في ثبته، ص٢٤٣)، وحسَّنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب، ٢٥٠/٢، وفي ذلك نظر؛ فالحديث كما ذكر الألباني نفسه في السلسلة الصحيحة، ٢١٦/١/١ فيه عقبة بن علي، وهو ضعيف، ولا تصلح الروايات الأخرى للحديث: شاهدةً لعبارة "ما شاء الله"؛ فإنها مما تفرَّدت به هذه الرواية الضعيفة؛ فهي إذًا ضعيفة في ذاتها، مخالفة غيرها من الروايات. على أني لم أجد الحديث في الطبراني ولا في غيره، فالذي في الطبراني من حديث ابن عمر بسند فيه عقبة بن علي: هو ما رواه في معجمه الكبير، ٢٧٨/١٢(١٣٣٥٤)، وفي كتابه الدعاء، ١٦٥٨ بلفظ: "فأكثروا من غراسها؛ لا حول ولا قوة إلا بالله"، وليس فيها - كما ترى - "ما شاء الله"، وكتاب الذكر لابن أبي الدنيا غير موجود؛ فالله أعلم إن كانت فيه عبارة المشيئة أم لا؟ ويقوي كونها فيه أن ابن القيم في الوابل الصيب وابن الشيخ خليل في بشارة المحبوب، عزَوَا الحديث بها إلى ابن أبي الدنيا فقط، لكن الحافظ الدمياطي عزاه بها إلى الطبراني فقط؛ (المتجر الرابح، ص١٢٧٢ دار خضر)، وعلى كل حال هو حديث لا يصح؛ لما سبق من ضعف عقبة بن علي وكذا شيخه عبدالله العمري.

25 ولا تُذكر أحاديث وآثار فضل "ما شاء الله" البتة في بعض كتب الذكر والشكر والرقى؛ كالمذكر والتذكير والذكر لابن أبي عاصم، والذكر ليوسف ين يعقوب الأزدي، والشكر للخرائطي، والدعاء المحاملي، وجزء الرقية والحرز لأبي عمرو النيسابوري.

26 رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، ١، وأبو يعلى في مسنده الكبير، وإسناده ظاهر الضعف، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره موقوفًا على أنس؛ (كما في الدر المنثور)، وله شاهد من حديث عقبة

الله" على النعم مطلقًا – ولو في قولها على نعمة المرء نفسه – سببُها أن ذلك من الأمور المعتادة، الواضح معناها، المكتفى بأصل دلالة القرآن في الباب عن تَكرار نقلها، ولهذا نظائرُ في مسائل شرعية متعددة في كتاب الله؛ نعلم تسليم المسلمين بها وعملَهم، ولنا أن نحكي الإجماع القولي عليها افتراضًا، وإن لم تَبلُغْنا جميعُ نصوصهم، ولا أكثرُها، ولا الكثيرُ[27]، والظاهر أن مسألتنا من جنسها، وأن مشروعية قول: "ما شاء الله" مطلقًا أو على النعمة، عليه إجماعُ المسلمين وعملُهم[28].

بن عامر، ولا يصح، والأصح في لفظه أنه ليس فيه محل الشاهد؛ (أي: ما شاء الله)، وأما تصحيح ابن القيم له في كتابه شفاء العليل، (٤٢٣/١، طبعة الصميعي، وكذلك في الطبعات الأخرى)، ففيه نظر بيّن، وهو نفسه رحمه الله إنما ذكره في زاد المعاد، ٥٣٠/٢ – عالم الفوائد عن أنس موقوفًا، ومع ذلك صدره بصيغة التمريض "يُذكر عن أنس أنه قال:..."، وقد ضعفه أو نقل تضعيفه كلُّ من وقفت عليه ممكن تكلم على حكمه؛ كابن مفلح في الآداب الشرعية، ٧١/٣، وابن كثير في تفسيره، ١٥٩/٥، وتاريخه، ٥٧٦/٢، وابن حجر في نتائج الأفكار، ١٢٢/٤، ولو فرضنا ثبوته، فإنه لا يُشكِل علينا؛ لأنه لا يفيد تخصيصًا؛ كقولنا – كما سبق – في آيات سورة الكهف وغيرها.

27 وهي غير مسألة الإجماع السكوتي، بل هي المسائل التي تصرّح بنسبة القول إلى جميعهم، وإن لم تر نص أكثرهم أو كثير منهم، كتحريم ضرب الأبوين؛ فإنه قد يعز عليك جدًّا أن تجد نصوص العلماء في ذلك، ولكنك لا تتوقف في نسبة هذا القول إليهم كلهم بتًّا، ولا تشك أن كل واحد منهم لو سألته وجدته قائلًا بذلك، وهي مسائل الإجماع التي يشير إليها الشافعي بالمسائل التي لو قلت بها **لم تجد** أحدًا لا يقول بها، بل لا تجد من لا يقول: إنها إجماع؛ (كما في كتابه جماع العلم، ص٦٦)، ويشير إليها أيضا بالمسائل التي **يجوز لك** فيها أن تثبت القول لجميع المسلمين قديمًا وحديثًا وإن لم تحفظ فيها أقوال الجميع؛ (كما في كتابه الرسالة، ص٤٥٧)، ويقرِّر ذلك غيره بنحو عبارة:"وذلك **لاينبغي** عند أهل العلم"؛ (كابن عبدالبر في الاستذكار، ٢٧٤/١٨).

28 وما زال المسلمون يقولون: **"ما شاء الله كان"**، وقد حكى كثير من العلماء الإجماع على قول المسلمين كلهم هذه العبارة؛ كأبي منصور في التوحيد، ص291، وفي التفسير، وأبي بكر الإسماعيلي

وأما ما علَّل به المنتقِد من أن قولك: ما شاء الله على نعمة غيرك لا فائدة منه؛ (أي: لأنه خبر وليس إنشاءً) – ففيه نظر؛ فليس لتخصيص صاحبها معنى هنا، وقول: "ما شاء الله لا قوة إلا بالله"، من أسباب حفظ الخير وزيادته، والخير لأخيك المسلم خيرٌ لك، تُحب له ما تُحب لنفسك، وفي حديث الصحيحين وغيرهما عن قتادة عن أنس مرفوعًا: "لا يؤمن أحدُكم حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه"، وفي صحيح مسلم من حديث أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعًا: "من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكَّل به: آمين، ولك بمثلٍ"، وقد جاء عن بعضهم أن التبريك هو أن تقول: تبارَك الله أحسنُ الخالقين[29]، فعلى هذا يكون التبريك أيضًا ليس إنشاءً[30]، بل خبرًا أيضًا مثل "ما شاء الله"[31]، فيُورَدُ على هذا نفسُ الإشكال الذي ذكره المنتقد.

في عقيدته، وابن الطيب في الإنصاف، وفي الانتصار، وعبدالقاهر في أصول الإيمان، ومكي في الهداية، 1719/3، 4384/6، والبيهقي في الاعتقاد، ص160، والعمراني في الانتصار، وابن تيمية (في مواضع عدة؛ كمنهاج السنة، ٣٠٢/٥)، وابن القيم (في طريق الهجرتين، ص١٧٦ وغيره)، وغيرهم، والأكثرون يقولون في آية سورة الكهف: "ما شاء الله"؛ أي: ما شاء الله كان؛ كابن جرير في تفسيره، ٢٦٤/١٥، وقال ابن هبيرة وغيره: تقدر عامة في الزمان؛ أي: ما شاء الله كان في الماضي، ويكون الآن، وكائن في المستقبل؛ (نقله تلميذه ابن الجوزي في المقتبس)، والظاهر أن قول ابن هبيرة لا يلزم منه معارضة قول الأكثرين؛ فإن "كان" قد تُفيد الاستمرار في أحوال الأزمنة المختلفة، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 158].

29 انظر: طرح التثريب، ١٩٤/٨.

30 والدعاء من الإنشاء لا الأخبار.

والخلاصة أن قولك:

"ما شاء الله" على غيرك من إخوانك المسلمين، وعلى ما رُزِقُوه من نِعمٍ، مشروع محمود مأجورٌ عليه، وباب الأذكار وإن كانت له ضوابطُ وقواعدُ، وتَدخُله البدع – خاصة البدع الإضافية – فإنه ليس إلى ذاك الحد من القيد والضيق، ولاشك أن الأكمل أن يكون مع ذكر المشيئة عند رؤية نعمة الغير: الدعاء له بالبركة، والله أعلم وأحكمُ.

---

31 لكن الذي في التمهيد لابن عبدالبر، ٢٤١/٦، وعمدة القاري، ٢٦٦/٢١، وتفسير القرطبي، وتوضيح ابن الملقن، وحاشية ابن عابدين، وغيرهم: "تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم بارك فيه"؛ أي: قد تضمن التبريك: الإنشاءَ (=الدعاء) مع الخبر.